إلى جَميع أصدقائِي على مَواقِع السّوشَل ميديا.. وكلِّ من يُتابعُ مَسيرَتي الأدَبيَّة.

الطّبعة الرَقميَّة الأولى، كانون الثاني ٢٠١٨

.

منذ كنتُ طفلاً كنتُ أكرَهُ الوداع!
فكلمة.. وَدَاعًا.. بالنّسبَةِ إليَّ
شَكلٌ مُصَغّر من أشكالِ المَوْت.

فيديريكو غارسيا لوركا

في هذِه الحَيَاة ستتعلَّم كلَّ شَيْءٍ من نفسِكَ..
إلاّ القَسْوَة..
سيَقومُ إنسانٌ آخر بتعليمِكَ إيَّاها.

آل باتشينو

"هذه هي قطعَةُ الأرض.. من هنا حتى أطرافِ البَلدَة".

كانت هذه كلماتُ الشَابّ غيث الرّاسي ذي الجَمَحاتِ غيرِ السَويَّةِ نَحوَ المُستَحيل، وهو يوجِّهُ الكلامَ إلى شَارٍ مُغفَّل عائدٍ منَ الخليج.. ويَبحَثُ عن عقار في بقعةٍ هادئَةٍ في السُّفوحِ القَريبَةِ منَ العاصِمَة، ليَبنِيَ عليه منزلاً كبيرًا وَيَستقِرّ في الوَطَن. غيث شابّ في بَحرِ عشرينيَّاتِه.. وطمُوحُه المادِّيّ أولويَّةُ أجنداتِه! الأرضُ السَّائبَة وبيتُها الخَرِب قربَ منزلِهِم في جونيه.. كانت سِفرًا مُلهِمًا.. وصَوتًا نبُوئيًّا.. لمُغامَرَة لا زالت أسيرَةَ حُجُبِ المُستَقبَلات.. تمامًا كالصَّوتِ الغَيبيِّ الذي سمِعَه إبراهيم يقولُ له: "أترُكْ أهلَكَ وَعَشيرَتَكَ، واذهَبْ إلى الأرضِ التي أريك". كانَ غيث يبحثُ عن رافعَةٍ سِحريَّة.. عن ماردٍ من قمقم يَشيلُ بهِ إلى فوق. بيدَ أنَّ عِصاميَّتَهُ العَنيدَة قالت له أن يُصنِّعَ هذه الرَّافعَةَ من مَعدِنِ خَيَالاتِه المُضْطربَة. فالنُّسُور، عندَ جبران، لا ترتقي السُلَّمَ دَرَجةً درَجَةً.. وإنَّما تحلِّق. الثَّرْوَةُ كابوسُ غيث وتَعويذةُ شُؤمِه! والعقاراتُ المُهمَلَة والمَنسيَّة

من مالكيها أو وُكلائِها، وربَّما لا أوراقَ ثبُوتيَّة لها ولا مَرجع عقاريًّا، باتَت شُغلَه الشَّاغِل. وفي تلكَ المُغامرَة بالذّات.. كانَ غيث بحاجَة لشَريك.. وكانَ هذا الشَّريكُ صديقَه الذي أنهى لتوِّهِ دراسَةَ الحُقوق، وهو يتدَرَّجُ في مكتبِ مُحاماة في العاصمَة. فباتَ والحالة هذه المُحامي مالِكُ المكتب مَصدرًا استشاريًّا لهَوامشَ وتفصيلاتٍ وتداعياتٍ رافدَةٍ لسَيلِ هذه المُغامرَةِ الجَريئَة. المالكُ الأصليُّ لقطعةِ الأرضِ الفتُوحيَّةِ مُتوَفٍّ.. والوَكيلُ الأوّلُ مُتوفٍّ أيضًا! وما يَشكلُها بالدَّائِرَةِ العقاريَّة أنَّ الوَكيلَ الثّاني مُغتربٌ لبنانيّ. وقِوامُ الخَديعَةِ استِنساَخٌ لهذا الوَكيلِ الثّاني والقبض منه على مَرحلَتَين: نصف المَليون كرَعبون، ثمَّ النِّصف الثّاني في دُفعَتَين. غيث شابٌّ عِشرينيّ والشّاري في حوالي الأربَعين، ويُريدُ هذا المُهاجرُ اللّبنانيُّ السيِّئُ الحَظّ أن يَشتريَ أوّلاً بالرَّعبون، ثمَّ يسافر لتصفيَةِ بعض أشغاله قبلَ العَودَةِ النِّهائيَّةِ إلى الوَطَن، فسارَعَ ودَفعَ رَعبونَه نصفَ مليون دولار لغَيث. وانطلَتِ الحيلةُ عليه! ذلكَ لأنَّ غيث هو رائِدُ ونَبيُّ هذه الشَّعوَذَةِ العِقاريَّةِ الجَهنَّميَّة، والنَصَّابُ المُحتال مُستكشفٌ مُجاهد عن كنوزِ الأفكارِ البكر والطَّرائِقِ الجَديدَة في الشَّكلِ والمَضمون، والنَّجاحُ نَصيرٌ حَليفٌ لا يخون للجِدَّةِ والحَداثة. رأى هذا الشَّاري قِطعَةَ الأرضَ وأعجَبَته. وظنَّها تساوي أكثرَ بكثير من مليون دولار، ورُبَّما ظنونُه في مَحلِّها! ولكنَّ لباقة غيث وصديقِهِ المُحامي المتدَرِّج، واستعانتَهُما بخالِ صديقِهِ وهو رجُلٌ خمسينِيٌّ، والذي توَّجَ المؤامَرَةَ بحُضورِهِ الوَقور بشَاربٍ وشَعرٍ مُستَعار وفي لقاءٍ واحدٍ يَتيم، دفَعَتا بفصُولِ المَسرَحيَّةِ إلى الذُّروَة. وبقيَ غيث أيَّامًا ولياليَ يطبُخُ بطبخَتِهِ، تلكَ "الأوزي" الدَّسِمَة الذي حَظِيَ بها صديقُهُ المُحامي المُتدَرِّج، على نارٍ حاميَة. قالَ الشَّاري المُهاجر للثَّلاثة.. غيث وصديقِه وخالِ صَدِيقِه:

– أنا عائِدٌ إلى دُبَيْ خلال أيَّام.. وسوفَ أعودُ بعدَ ثلاثة أسابيع. سأعطيكَ الآنَ شيكًا ٥٠٠ ألفٍ كرَعبون.

وافقَ غيث للحال وأخذَ الشّيك. وأمّا بشأنِ الاتّفاقيَّة بينَ الثلاثة، والتي نَصَّ بُنودَها غيث.. أنّه إذا حصلَ الثلاثةُ على المليون يتقاسَمونَها بالتَّساوي. وإذا افتُضِحَ أمرُهُم يُبعِدُ غيث صديقَيه في التَّحقيقاتِ عن القَضيَّة، ويدخلُ السِّجنَ وحدَه، لأنَّ عقوبة النَّصبِ والاحتيال سَنَةٌ ونصفُ السَّنَة كحَدٍّ أقصى. وإذا حَصَلوا على جزْءٍ منَ المبلغ مهما كان

يكونُ نصفُه لغَيث. وبعدَ أيّام قبضَ غيث شيك الـــ ٥٠٠ ألف وقدَّمَ وَصلاً بما قبضَ. فأخذَ ٢٥٠ ألف والباقي لشَريكَيه. ثمَّ عادَ الشَّاري من دُبَي ودفعَ النِّصفَ الثَّاني منَ المليون كاش سَحَبَها هو من المصرف، وسجّلوا له العقار باسمِهِ بواسطةِ شَعوَذَةِ الأوراق المُزَوَّرَة. وتقاسَمَ الشُّرَكاءُ الثلاثة الحِصَصَ بحسَبِ بُنودِ غيث.

وسُرْعانَ ما انكشَفَتِ المؤامَرَة!

بعدَ شهر زمان لا أكثر.. جاءَ الشَّاري البائِس ومعه العُمَّال يُريدُ أن يُسَوِّيَ أرضَهُ الجَديدَة ويَبنيَ سُورًا لها لتَثبيتِ حدودِها. وكانَ أنَّ أحدَ رُعاةِ الماشيَة من تِلكَ البَلدةِ الفتوحيَّةِ الصَّغيرَة، وهو رَجُلٌ ستّينيّ، يقودُ قطيعَهُ، صدفة، بالقربِ من وَرشةِ الاستِصْلاح هذه. فاقترَبَ من المعلِّم البَنَّاء وَحَيَّاه وَمُعاونَيْه:

– يعطيك العافيه يا معلّم.

– الله يعافيك. أجابَ المعلِّم والسِّيكارةُ في فمِه يتداعى رمادُها حتى نصفِها، وجَبينُه يرشحُ منَ العرَق.

– هل تعمَلون لدَى الدَّوْلة؟ سأل الرَّاعي.

فأجابَ البَنَّاءُ صادقَ النيَّة:

– لا.. لقد جاءَ بي مالكُ الأرضِ لكي أبني لها التّصوينة.

ونقلَ هذا الرَّاعي من فورِه الكلامَ إلى البلدَةِ فالمُختار فرئيسِ البَلدِيَّة.. وانكشَفتِ التَّنصيبَةُ بَعدَ لأيٍ. وكانَ النَّاتجُ النِّهائيّ لهذه المُغامرَةِ الرَّائدَة دخولَ غيث إلى السِّجن ليقضيَ هناكَ حوالي ثمانيةَ عشرَ شَهرًا، نائمًا على ٣٣٠ ألف دولار وزَّعَهُم على ثلاثة مصارف، وأبقى في اعترافاتِه شَريكَيْه نَظيفَين كما وَعَد.

وإيميه المِسكينة..! عندَما تناهَى الخبَرُ إلى مسامِعِ إيميه فقدَتْ صوابَها! وبَدَتْ لشَهرٍ من الزَّمَن ذاهلَةً.. تنتابُها نوباتٌ منَ الخبَل حتى خُشِيَ عليها من الانهيار الكامِل. ثمَّ هضَمَتِ الصَّدمةَ معَ مرورِ الأيّام واستعادَتْ عافيَتَها النَّفسيَّة. والزَّمَنُ خيرُ طبيب.

وأوحَتْ إليها ذاتَ يَوم ابنَةُ عَمَّتِها بفكرَةٍ، لتساعدَها على الخروج من دَوَّامةِ التساؤُلات والوَحشَة، فأسَرَّتْ إليها:

– لماذا لا تزورينَه في السِّجن؟

فأجابَتْها إيميه:

– كيف؟ وأهلي يريدون أن أمسَحَهُ من حياتي بالكامل! ذهابي إليه يزيدُها تعقيدًا.

– ألا زلتِ مُقتنعَة بهِ يا إيميه؟ غيث ليسَ الرَّجُلَ المثاليَّ الذي تطمَحينَ إليه.

وعندَما تَنفرِدُ إيميه بنفسِها.. وتحادثُ نفسَها تارةً وحَبيبَها السَّجينَ طورًا.. كانت تلومُه بلطفٍ ثمَّ تُعاتبُ وتثور.. بَل وتصرُخُ لدَرَجةِ السُّبابِ والشَّتيمَة! ثمَّ تُهدِّدُ وتَتوَعَّدُ، لتنتَهيَ أخيرًا باكيةً في صَمتٍ مُرٍّ جَريح. بيدَ أنَّها سُرْعان ما تكفكِفُ دُموعَها وتُقنِعُ نفسَها بضرورَةِ إعطائِهِ فرصَة.. كَرْمَى لعُيُونِ الحُبّ.. إن هي إلاّ تجربَةٌ شَبابيَّةٌ وحمَاسةٌ متهوِّرَة لا أكثر، و"الصَّديق وقت الضيِّق". وبعدَ صِراعٍ لاهبٍ مع الفِكر والفِكر المُضَادّ، والرَّأي والرّأي المُعاكِس، عزَمَتْ أخيرًا على أن تزُورَه في السِّجن. وكانَ يومُ لقائِها به في السِّجن يومًا تائِهًا شاحبًا كئيبًا قليلَ المَطر.. كأنَّ الطَّبيعةَ تؤاسيها وتُشاركُها وَحشتَها وكآبتَها. لقد رافَقتْها ابنةُ عَمَّتِها في مشوارها هذا.. ورجلاها تُحاولان بينَ الفينةِ والفَينة أن تتمَرَّدا عليها.. والتَرَدُّدُ رفيقٌ ثَقيل وَظِلٌّ مُخيفٌ لهُما. بيدَ أنَّ نداءَ الحُبِّ أمْرٌ.. وغيث لن تَحظى بمِثلِهِ طوالَ العُمر. الحُبُّ الحَقيقِيُّ يُشبهُ العُمر، لا يأتي غيرَ مَرَّةٍ واحدَة! خرَجَت إيميه من غرفةِ التَّفتيش (السّكانر) في ذلِكَ السِّجنِ المُنعزل في الضَّاحيَةِ الشَّرقيَّة، ناجيةً بنَفسِها من حَشدِ الزَّائِرين من ألف صنفٍ ولون، ومن مُيُوعَةِ العَسكريِّين الذين يكادُ واحدُهم يَسقطُ على الأرض من فرطِ مَلَلِهِ وعَيائِه، وبَقيَتْ ابنةُ عَمِّها تنتَظرُها خارجًا. ثمَّ اتَّجَهَتْ مباشَرةً إلى النَّافذة حيث الشَّبَكُ الحَديديُّ تُخْمٌ فاصلٌ بينَها وبين غيث، وكانَ يقفُ معَها في الغرفةِ عَسكريَّان يُراقبان المُقابلة. وما إن أطلَّ غيث أمَامَها.. أصابَها الذُّعرُ من هزالِ مَرْآه! كأنَّه إنسان آخر. شُحوبٌ في الملامِحِ وسَوادٌ حولَ العَينَين واللِّحيَةُ السّوداءُ مُرسلَة. وعندَما شَهقَتْ إيميه وتراجعَتْ إلى الوراء خائفةً، وتكلَّمَتْ بصَوتٍ عالٍ:

– هل أنتَ غيث الرَّاسي يا هذا؟ ربَّما هناكَ خَطأ ما.

أمرَها العَسكريُّ أن تُخفضَ صوتَها.. فقالَ غيث مُهدِّئًا إيميه:

– أنا غيث يا إيميه.. أنا غيث لا تخافي. ماذا تفعلين هنا؟

فعادَتْ وَحدَّقَتْ مليًّا في وَجهِهِ وهندامِهِ المُبَعثَر.. ثمَّ اقترَبَتْ وقالت:

– وماذا تتوقَّع منّي يا شَيطان؟! إنّه أقلّ ما تفعلُه فتاة تجمَعُها علاقة بشابّ. حالتُكَ مُزرية جدًّا! هل أنتَ على ما يُرام؟

– أنا بخير يا إيميه صَدِّقيني. ولكن أنتِ.. ألستِ غاضبةً منِّي؟

– لستُ غاضبَةً. هذا طيشُ شَباب أعرفُ هذا.. نَزوَة عابرَة.. وكلُّنا مُعرَّضون للسُّقوط. و"غلطة الشّاطر بألف غلطَة".

وَسافرَ غيث في عَسَلِ عَيْنَيها الصَّادِقتَين.. لم يَحْرِ كلامًا يتفوَّهُ به إزاءَ وفائِها البَريء. صدقُ مشاعرِها وبرَاءَتُها وإيمَانُها به.. جَعله يُشفقُ عليها. قالَ لها:

– أنا لستُ جَديرًا بكِ إيميه. لقد حسِبتُ حسابَ كلِّ شَيْء إلاّ أنتِ.. لم افكِّرْ بكِ قطّ! لم اتوقَّعْ مَجيئَكِ إلى هنا أصلاً!

فانفَعلتْ عندئذٍ إيميه في وَجهِه صارخةً:

– وهل تريدُني أن أتَخلَّى عن كلِّ شَيْءٍ بَينَنا هكذا ببَساطة.. وبسبَبِ جُنونِ طموحاتِك؟ ماذا تحسبُني يا هذا؟

فتدخَّلَ العَسكريُّ ثانيةً وقالَ لها:

– لكِ خمس دقائق يا سيِّدَتي بَعد. وأخفضي صوتَكِ وإلاّ أنهَيتُ اللّقاءَ الآن.

– كم ستبقى في السِّجن؟ سألَتْ إيميه.

– سَنَة ونصف تقريبًا. أجاب.

– نَصبٌ واحتيال أليسَ كذلك؟

فأجابَها مُحاولاً إغراءَها وإقناعَها:

– إنَّها ٣٣٠ ألف دولار يا إيميه!! قالَ هذه الكلمات بصوتٍ هادئٍ لا يوحي بالاعتراف.. وهو يراقبُ نَسَماتِ عَيْنيها في أيِّ اتِّجَاهٍ عاصِفةٍ هي. وَأضاف:

– أنتِ حرَّة في أن تنتظريني أو لا.

فقالت له وهي تَشرُقُ بدُموعِها.. والغيظُ تكظمُه في وَميضِ عَيْنَيها:

– وهل أبقى الحُبُّ لي خيارًا؟ ما كنتُ أظنُّ أنَّكَ عِصَاميٌّ على هذه الشَّاكِلة البائسَة!

– إذا انتظَرتِني يا إيميه سيكونُ لدينا رأس مال كبير لبناءِ حَياةٍ جَديدةٍ رائِعَة.. وبمَقدورنا معًا أن نَصِلَ إلى المُستَحيلات.

فأدارَتِ المِسكينةُ ظهرَها له، وخَطَتْ ثلاثَ خطواتٍ، ثمَّ عادَت ونظرَت إليه لتقول له:

– أنتَ تحبُّ المالَ أكثرَ منِّي يا غيث. وخرَجَت منَ الغرفة.

وكانت تبكي.. وتذرفُ دَمَعاتٍ لاهبَة. واجتاحَها شَكٌّ قويٌّ، ربَّما، بأنَّ قلبَها ساعٍ في إثرِ الرَّجُلِ غير المناسب. بيدَ انَّها لم تصنعْ قرارًا حاسمًا نتيجةً لهذا اللّقاء. وفي لقاءٍ آخرَ وليسَ الأخير بينهما في تلكَ الغرفةِ القاتمَة التي رَأت فيها إيميه مَقبرَةً لحُبِّها الفتِيِّ المَخدوع، وكانَ غيث هذه المَرّة حَليقَ الذَّقنِ مُرتَّبَ الهندام، حدثَ بينهما ما أعادَ الثِّقة إلى قلبِها بعضَ الشَّيء. كانَ هو أكثرَ قوَّة من اللّقاء الأوَّل. وراحَ يُقنِعُها بأنَّ الشَرَّ فَضيلة! ويرسمُ لها المُستقبَلاتِ مشاريعَ وطموحاتٍ وأحلامًا عِذابًا.. ويُجمِّلُ لها السَّفرَ إلى الخارج وبناء شَركة.. وطالبَها أن تنتَظِرَه بإلحاح ما تبَقَّى له من سَجْنَتِه. وأكَّدَ لها بأنَّه يُحبُّها وهو باقٍ على العَهد. ومعَ أنَّ العلاقة أوحَتْ بأنَّها في طريقِها نَحوَ الزَّواج.. ولكنَّ فكرةَ الزّواج بحدِّ ذاتِها لم تكن حاضرةً بقوَّةٍ فيها، وهذه "العاصِفةُ المُصْطنعَة" دَفعَتْ بها قدُمًا إلى الواجهة.

قالَ لها غيث برومنسيَّة:

– أشتَهي أن أقبِّلَ راحتَيكِ النّاعِمَتَين يا إيميه. أشتهي أن تجولَ أناملُكِ الطّاهرَة في شَعري وتُداعبَ أذني ووَجهي وفمي. هنا فقط أدركتُ قيمةَ تلكَ الأوقاتِ الرّائعَة التي قضَيناها معًا. إنتظريني يا إيميه.. سنعودُ إلى تلكَ الأيَّام لأنَّها حتمًا تنتظرُنا.

فتنهَّدَتْ.. وقالت بصَوتٍ خافِتٍ يغُصُّ بالدَّمعَة:

– يا حَبيبي يا غيث.

تركَته إيميه هذه المرَّة شبهَ مقتنعَةٍ بأنَّها غيمة سوداءُ في حياتِهِ، والسِّجنُ تأديبٌ يُرجعُه عن غِيِّهِ ويُثيبُهُ إلى رُشدِه. ولكنَّها تجهلُ أنَّ في الجانبِ الآخر منَ التيَّارِ غَريمَةً فكَّرَتْ بالذَّهابِ إليهِ في السِّجن أيضًا وفعلَتْ.. وهي سابين سماحه. سابين تلكَ المُتيَّمَةُ المُتنمِّرَة راحت تزُورُ غيث مرَّةً في الشَّهر، وطوالَ مُدَّةِ سَجْنِه، وفي كلِّ مرَّة كانت تتجلَّى له في تأنُّقٍ باهر وتألُّقٍ مُثير كأنَّها كائنٌ خرافيّ. فجَعلتْه بفنِّها الإغوائيِّ يتعوَّدُ الاشتياقَ إلى رؤيَتِها.. وكادَت إلى حدٍّ بعيدٍ أن تنافسَ إيميه في عقلِه. ولكنَّه قطعَ عهدًا لإيميه وطلبَ منها الانتظار، وهو باقٍ على عهدِهِ! وليسَ بدافعِ الوفاءِ البتّة! بل لأنّ إيميه هي الحالةُ الأولى الوَحيدَة التي لقَّحَتْ دِماغَه بفكرَةِ الزَّواج. سألته سابين ذاتَ مرَّةٍ في إحدى زياراتِها له في السِّجن:

– ألم تأتي إليكَ إيميه؟

فصمَتَ قليلاً وهو يفكّرُ في الجَواب. ثمَّ قالَ وآثرَ أن يكونَ صريحًا، وهو يجهلُ دَخيلةَ سابين جَهلاً ساذجًا:

– بلى. زارَتني مرَّة واحِدَة.

فسألتهُ أيضًا:

– ما زلتُما على وفاق؟

وفي سؤالِها الثاني أرادَ أن يكونَ واضِحًا أيضًا معها:

– بلى سابين.. إنَّها تنتظرُني لنُكمِلَ الطّريقَ معًا.

عندَها تأكَّدَت سابين أنَّ دخولَ غيث إلى السِّجن ليسَ حائلاً بينَ الحَبيبَينِ البتَّة. ولا بدَّ، والحالة هذه، من الاستفادَةِ من عامِلِ الوقت لفعلِ شَيْءٍ. لقد فكّرَت سابين كثيرًا.. واستَحضَرَتِ الجِنَّ والعَفاريتَ لكي يُملوا عليها إرادَتَهم في تَدميرِ علاقةٍ مُرتبكةٍ أصلاً ومُتداعيَة.. فتظهَرَ المؤامرةُ للرّأي العامّ كأنَّها حَظٌّ تاعس لإيميه. ودارتِ الفكرَةُ في رأسِها جيِّدًا، ورأتْها صالِحَة للتَّنفيذ. وهي لا تقدرُ أن تنفّذَها لوحدِها.. وساعدُها الأيمَن في المَهَمَّة هو ابنُ الوزير فراس العاشق رقم واحد للشَّقراء ذاتِ العَينَين العَسليَّتَين السَّاحرَتَين. قالت لفِراس على الهاتف:

– يجب أن نلتقيَ يا فراس.. لقد استوَتِ الطَّبخة.

– هل حَضَرَكِ الوَحْيُ الآنَ يا شَيطانة؟ سألَها فراس مازحًا.

– الفكرَة جاهزَة.. ولكن التَّنفيذ عليكَ أنت.

– أنا حاضر لأيِّ شيءٍ يرُدُّ لي كرامَتي، ويمهِّدُ السَّبيل للفَوزِ بإيميه.

وهكذا تواعَدا على لقاءٍ في أحَدِ مقاهي المْعَامِلتَين ذاتَ مساء. فجلَسَا قربَ الواجهةِ الزُّجاجيَّةِ الواسعة المُشرفة على لكَمَاتِ الأمواجِ للصُّخور، فيَهدُرُ صَوتُها تحتَ الأرض كأنَّ المَقهى قاربٌ تحملُهُ الأمواجُ إلى عَرْضِ البَحر. أشعلَت سابين سيكارةً ومجَّتْ مجّةً وقالت لفراس:

– لا شَيْءَ يباعدُ بين غيث وإيميه سوى الخيانة.

صمتَ فراس لثوانٍ. ثمّ قال:

– الطَّرحُ النَّظري صَحيح.. ولكنَّ الوسيلةَ أكثر أهميَّة.

ثمَّ عادَت سابين وتحدَّثَتْ كأنَّها تفكِّرُ على صوتٍ عالٍ:

– ولكنَّ الخيانةَ تحتاجُ لسيناريو وإخراجٍ ووثائِقَ ووقت. وربَّما انكشفَ أمرُها.. ولذا فهي غير مضمونة.

– والبديلُ برأيك؟ سألَ فراس بإلحاح.. منجذبًا لاكتشافِ عبقريَّةِ مُحدِّثَتِه.

– البديلُ هو اغتصابُ إيميه.. وغَرسُ جَنينٍ بالقوَّةِ في أحشَائِها!

وسكتَتْ لترَى تأثيراتِ الفكرَة في عَينَيه. فقالَ فراس مُستنكرًا:

– ما هذه الفِكرَة الشرِّيرَة؟! لا.. لا.. أنا لنْ أفعلَها!!

– لستَ أنتَ الفاعل يا هذا.. بل مُغتصبٌ مَأجور.

– مُغتصِب مأجور؟!!

– لا تقلْ لي أنَّكَ تُريدُ أن تتزَوَّجَها؟! تَسَلَّ بها لفترة.. والجَميلاتُ سِواها كثيراتٌ يا رَجُل. انتَ ابنُ وَزير.

وصمتَ كلاهُما لثوانٍ.. كأنَّها دَهر. وكانت سابين تراقبُ رقصاتِ الضَّوءِ في عَينَي جَليسِها. شَعرَتْ بأنَّها أقوى منه بكثير.. بل تستطيعُ أن تجعلَهُ دُميةً في يدِها. ومَكرُ المَرأةِ العاشقة أكثرُ فتكًا من مَكرِ الرَّجُل العاشق. بل الرَّجُلُ العاشقُ إنسانٌ ضَعيف. فالمرأةَ تثورُ عَبقريَّتُها في غرامِها.. والرَّجُلُ، ربَّما، يَفقدُ رُشدَه! وعندما مجَّتْ سابين مَجَّةً أخرى من سيكارتِها.. عادَ فراس وحدَّقَ في ملامِحِ وَجهِها المتماوجِ وراءَ سَحابةِ الدُّخانِ الخارج من فمِها.. وعيناها كأنَّهما من زُجاج.. أو كعَيني التِّمساح عندَما يَقضِمُ فريستَه ويقطِّعُها إربًا إربًا. من جانبِه هو قدَّمَ كاملَ استِعدادِه للتَحالفِ معَ الشَّيطان لاستردادِ كرامتِه والحصول على إيميه، فقالَ لها:

– أنتِ شيطانة كبيرَة يا سابين. وذكيَّة جدًّا. ومن أينَ نحصلُ على هذا المُغتصِبِ المأجور برأيك؟

ولم تجب سابين من فَورِها.. وتركَتْ فسحاتٍ من الصَّمتِ في الكلام مع فراس، لكي تهضمَ عَقليَّتُه الخاملة سُرْعةَ إبداعِها الفِكريّ. وأجابَتْهُ:

– علاقاتُكَ كثِيرَة. بإمكانِك الوصول إلى فارسٍ شَقِيٍّ بسُهولة.. تُعطيهِ مالاً.. ونُملي نحنُ عليه طريقةَ التَّنفيذ.

– وما هي طريقةُ التَّنفيذ؟

– يَخطفُها بواسطةِ المُخدِّر.. بكلِّ بساطَة.. ويَفعلُ فِعلتَه وهي لا زالتْ مُخدَّرَة.

وبدأتْ تقرأُ سابين ملامحَ الارتياح في وَجهِ فراس. ثمَّ عنَّتْ له فكرَة.. فتابَعَ مُتسائِلاً:

– وسيَعرفُ غيث بالقصَّة... ورُدودُ فِعلِه؟!

– عندَما يكون هناكَ جَنينٌ في أحشائِها.. لن يَبقى راغبًا فيها؟ وهنا يأتي دَوري أنا. أجابَت بثِقة وعَيناها تتوَهَّجانِ في خبث.

فقالَ لها فراس بصَوتٍ راجفٍ:

– أنا هكذا أشبهُ فاتِحًا داخلاً إلى أرضٍ مَحروقة.

غمَسَتْ سابين سيكارتَها في المِنفَضَة، وقالت له بنَبْرَةٍ حازمَة:

– الأشياءُ القيِّمَة غالية الثَّمَن. هذا هو ثمنُ حصولِكَ على إيميه جَبُّور. وعندَما يترُكها غيث.. تصبحُ غزالةً سَهلةً طيِّعَة لك.

ثمَّ مَرَّتِ الأيَّامُ.. وسابين تطاردُ ابنَ الوَزير باتِّصالاتِها وتسأله إذا كانَ حَظِيَ بالمُغتصِبِ المأجور هذا. ولكنَّه اتَّصلَ هو بها ذاتَ يَوم ليَقولَ لها:

– لن يكونَ هناكَ غاصِبٌ مأجور! لقد عَدَّلتُ مَوقِفي وأحدَثتُ تغييرًا بَسيطًا في الخُطَّة. أنا سأكون هذا المُغتَصِب! وسَأكونُ الخاطفَ وغارسَ ثمَرَتِي أنا في رَحِمِها. هذا السِّيناريو أكثرُ توافقًا معَ غايَاتي.. القريبَةِ والبَعيدَة. ورَحَّبَتْ سابين بهذا التَّعديل، وراحَتْ تنتظرُ بشَوق ساعةَ التَّنفيذ. وأبقَتْ على تجلِّياتِها المُغويَةِ لغيث في السِّجن، وتَخديراتِ أحلامِهِ بإيميه. وهكذا أعطتْ لفراس المَعلوماتِ اللازمَة عن إيميه تسهيلاً لتَكتيكِه. ولم تضَعْ سابين سماحَه في حِساباتِها احتِمالاتِ الفشَل، والعاشِقُ كالغريق أو التّائهِ وَحيدًا في الصَّحراء.. لا ييأسُ أبدًا من النَّجَاة.

وبينما كانَ فراس يدرُسُ خطواتِه، وسابين تنتَظِرُ بفارغِ الصَّبر التَّنفيذ، كانت إيميه جالسةً على شُرفةِ الحَيرَةِ والغُرْبَة، تحلمُ بفارسِها روميو مُتسلِّقًا تعريشاتِ بَيتِها، ليَثِبَ

إلى الشُّرفة ويَأخذَها بينَ ذراعيه ويقولُ لها: "لقد جئتُ إليكِ يا أميْرَةَ حُبِّي كما وَعَدتُكِ.. لكي نطيرَ على بساطِ الأحلامِ بَعيدًا.. إلى جَزيرَةِ الحُبِّ هناك.. لنَبْقى يا مَولاتي الحُلوَة رُوْحًا في جسَدَينِ إلى الأبَد". فإذا برَنينِ الهاتفِ يوقِظُها من خَيالاتِها الجَريحَةِ هذه، ويطلبُ الحَديث معَها. فأخذَتِ السمَّاعَة.. وإذا بصَوتٍ رُجوليٍّ أجشٍّ يقول لها:

– إيميه جَبُّور أنا فاعلُ خير. أتَّصلُ بكِ لأعلِمَكِ بأنَّ مَكيدَةً شيطانيَّة تُحاكُ لك.. وتستهدفُ حَياتَكِ وحُبَّكِ لغيث. فأرجوكِ أن تأخذِي الحِيطَةَ والحَذَر. ولا تسألي مَن أنا.. هويَّتي لا أهميَّةَ لها هنا.